التشكيليّة الأردنية هبة الصويص... بين الحرّية الافتراضية وقيود الواقع الاجتماعي الصعب!

نصّار إبراهيم

(تنويه: شكراً للفنان علاء سهيل قسوس، الذي يرى في الفنّ حياة ومقاومة، فيذهب إليه حيث يكون... ويهمس لي: انظر هنا، بذرة تنمو وشعاع يضيء... فقل شيئاً).

«أنا أردنية من مدينة الفحيص، الفنّ بالنسبة إليّ حرية، فأنا أمارس حرّيتي الفكرية من خلال اللوحة. بينما يعبّر الشاعر عن أحلامه وهواجسه وتطلعاته إلى الحياة بقصيدة شعر، تكون الألوان حروف لوحتي. اللون هو لغتي التي تعكس ما يدور في داخلي. وأنا في أعمالي، فإن حالي كحال أيّ امرأة عربية، لا بل أشبه العواصم العربية في كل حالاتها: اغتراب، قلق، خوف وأمل، فأهرب إلى اللوحة كي أعيش في عالمي المتخيل»... هكذا تقدّم الفنانة التشكيلية هبة الصويص وتعرّف عن نفسها.

الفنانة هبة الصويص في أعمالها التشكيلية «نساء ووجوه»، تتحرّك أو ترحل ما بين قيد وفضاء، بين ألم وأمل، بين الظاهر والمعلن، بين الحقيقة ونصفها، بين الوضوح والتشوّه، بين وعي الذات والوعي العام... بين أحلام مطفأة وأخرى تتوهّج كجمرة.

تركّز الفنانة هبة الصويص على الخطاب الذي يسرده وجه المرأة المجرّد. هناك، تحشد شعورها ورؤيتها وقدرتها على قراءة الأبعاد الدفينة في داخل المرأة، كما هي حال العواصم العربية المثقلة بالخوف والقلق والأمل على حدّ قولها.

الاشتغال على جزء محدّد من الجسد (الوجه) يحتاج إلى قدرة خاصة كي يتجاوز العمل الفنّي الجزئي ليصل إلى أعماق الكلي. بحيث تجبرك تلك الوجوه المجرّدة على الوقوف أمامها والاستماع إلى همسها وألمها وضجيجها، وقراءة خطوطها وظلالها وزواياها المحدّدة وانفعالاتها المضمرة. وهذا ليس أمراً سهلاً لو لم تكن هبة تعي ذاتها كامرأة مسكونة بهموم وأحلام وهواجس وأسئلة وطموحات جمعتها من خلال الملاحظة والذاكرة والمعاناة والعين المرهفة التي تذهب إلى ما وراء الظاهر في الوجوه المشخّصة أو العابرة. بحيث شكّلت من كلّ ذلك رواية تحكيها تلك الوجوه، كلّ بطريقته التعبيرية الخاصة.

يحاول المتلقّي أن يذهب إلى ما وراء الوجوه الصامتة، المطرقة، الراحلة، الغافية، والمحدقة، ليكتشف أنه أمام وجوه، على رغم صمتها، إلا أنها تهمس، ثم تصرخ. وجوه مسكونة بالألم والقهر العميق. حزينة ومربَكة بذاتها. فيها أمل وأمنيات كسيرة. وجوه صاعدة أو قادمة من رحلة المرأة العربية الموغلة في التاريخ. وجوه تحمل قسماتها الأخاديد التي تركها الواقع وكأنها ندوب في وعي المرأة وثقافتها وسلوكها نتيجة «للصليب» الذي علقها عليه الواقع الاجتماعي المثقل بالقهر والاستغلال ولا يزال. وجوه قلقة، تغمض عيونها في محاولة للهروب من واقع يلقي عليها بأثقاله كي تبقى حبيسة أنوثتها والأدوار المرسومة لها اجتماعياً. أحياناً، تفتح عيناً وتغلق أخرى وكأنها توارب وتتمنّى أو تساوم. أو كأنها لا ترغب في الانفصال عن الواقع، أو تخشى المحاولة.

إذن، أعمال الفنّانة هبة الصويص تروي بمجملها حكاية المرأة. تطرح أسئلتها وهمومها، قيودها وأحلامها وآمالها بطريقتها الخاصة. وجوه تعبّر عن حركة التناقض العميقة. التناقض بمعناه الذاتي والجماعي، بمعناه النفسي والجسدي، بمعناه الخاص والعام. ومع حركة التناقضات الفاعلة في العمق يتحرك الموقف والشعور.

في لوحة «أعماق»، يتّكئ الوجه أو العقل على الكف وكأنه يستسلم. أو ربما يحاول البحث عمّا يعطي للوجود المشخص معنى يعوّض عن الخسارات المتراكمة. لهذا، تعود المرأة إلى ذاتها في حالة تأمل عميق. إنها تبحث لتجد روحها المستلبة. هي لا تتخلى عن جمالها وأنوثتها، لكنها تريدهما أن يكونا جزءاً عضوياً ومكوّناً أصيلاً من ذاتها الحرّة والمستقلة.

في لوحة «البعد الآخر»، ولوحة «نصف الحقيقة»، يندمج وجهان ليصبحا وجهاً واحداً. عين مفتوحة على اتساعها وأخرى عائدة إلى ذاتها. هنا يتبدّى التناقض بأشدّ ما يكون، ما يعكس حالة الانفصام النفسي والثقافي والاجتماعي بين داخل المرأة وخارجها، بين المعلن والمضمر، بين الواقع ونقيضه، بين ما يعلنه المجتمع عن نفسه وبين ما هو عليه في حقيقة الأمر.

في هذا السياق التفاعليّ، يتحرّك التناقض من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي، أي التناقض بين وعي المرأة ذاتها الفردية، ووعيها ذاتها الجمعية، إذ تتفاعل التناقضات وتتحرك بصورة أشد قسوة وتعقيداً. في لوحة «نحن ذاتنا» يتكاثف الألم ويتقاطع القلق والحزن وحالة الانكسار الجمعي في تكوين ذي دلالة مؤثرة. بحيث تأخذ الوجوه الملامح ذاتها، والتفاصيل ذاتها، والتعابير ذاتها. وكأنها تطلق نداءً عميقاً: متى يفهمنا هذا الواقع؟ ولكن حتى يتحقق ذلك، على المرأة كذات جماعية، أن تعي ذاتها وقدراتها لذاتها من أجل انتزاع حريتها وهذا شرط بديهي.

في سياق هذا النداء أو الصرخة، تؤكد المرأة أنها الواقع ذاته، إنها ليست هوامشه أو ظلاله الملحقة، أي تحاول أن تتجاوز حالة المفعول إلى الفاعل. إنها تحاول أن تعي روحها الجمعية بما يؤكد مكانها الحاسم في الواقع. ولهذا، كان عليها بالضرورة أن تتوحّد وتتساند لتقول. ولكن، هل سيكون هذا التوحّد مجرد توحّد سلبيّ للصمت والاستلاب والخوف؟ أم سيكون مقدّمة وعي للفعل والمبادرة والمقاومة الفاعلة التي تستهدف هزّ قيود الواقع أو تحطيمها ولو جزئياً كي ينهمر الضوء حين تصبح حرية المرأة هي ذاتها حرية المجتمع؟ بحيث ينهض الجميع إلى المقاومة في مواجهة قيود التخلّف والقهر والاستغلال بمختلف أشكاله.

تعلن هبة أن اللون وسيلتها للتعبير عن اغترابها، قلقها، خوفها... وأملها. وتضيف: أمام كل ذلك، فإنني أهرب إلى اللوحة كي أعيش في عالمي المتخيّل...».

ولكن، ماذا بعد هذا الهروب الكبير؟ ماذا بعد أن تبني المرأة عالمها الافتراضي في خيالها...؟

بعد رحلة الهروب تلك، ستعود المرأة من رحيلها الافتراضي إلى الواقع ذاته الذي شكّل دافعاً لهروبها الافتراضي. ستهبط مرة أخرى من علياء أحلامها إلى أرض الواقع من جديد. لتجد أنه لا يزال ذاته. فما دامت المرأة تمارس افتراضياً الهروب من المواجهة، فإنها ستعود من جديد إلى دوائر الاغتراب والقلق والخوف، وهي بالتأكيد ليست دوائر افتراضية، إنما واقع مُعاش.

إذاً، هناك خطوة حاسمة يجب أن ترافق الوعي أو تستتبعه، وتتمثل في إدراك قيمة الفعل من أجل التغيير. فوعي الذات ووعي الواقع يشكّلان خطوة ضرورية. كما أن تخيّل الحرّية والأحلام وتمثّل الطموحات، هو أيضاً شرط أو خطوة حاسمة. ولكن يبقى السؤال: وماذا بعد؟ وإلى متى ستمارس المرأة هواية الهروب من ذاتها ومن واقعها كنوع من حلّ؟ وإلى متى ستمارس طقوس حرّيتها في خيالها فقط؟

إذاً، لا بدّ من كسر المعادلة في لحظة ما. فما دام القلق والاستلاب والخوف والاغتراب واقعاً، يجب العمل لتحويل نقيض كل ذلك، أيّ الحرية من مشروع افتراضي ليصبح مشروعاً واقعياً. وغير ذلك، مواصلة الدروان في متاهة لا نهاية لها.

تستحضر الفنانة هبة الصويص في أعمالها أعماقها كامرأة. لهذا، هي تستشعر بألوانها وخطوطها وظلالها تعقيدات المشهد. وبالتالي، بقدر ما تعي الواقع، بقدر ما تبحث عن نافذة أو فسحة للأمل. في لوحتها «دعوني أحلم»، تذهب في حالة استغراق وتركيز وتأمّل صوفيّ عميق، وكأنها تحضّرنا للحظة فعل ما، لحظة انفجار واندفاع أنيق وقوي بما يشبه رقصة صوفية حرّة. ومن خلال الفعل تنطلق الأحلام والطموحات كفراشات ملوّنة تراقص الطموح والأحلام المتخيّلة. حينئذ، يشرق الوجه كما في لوحة «صعود»، فترحل العيون نحو قمر، أو شمس تضيء في الأعالي، إذ تتخطّى المرأة ذاتها المقيّدة. إنها تكسر قيودها، وتطلق روحها فتعطي لجمالها الطبيعي القوة والوضوح.

نتمنى أن تواصل الفنانة هبة الصويص رحلتها في الكشف، بحيث تتخطّى وصف الواقع وتشخيص الألم والقلق والخوف وصولاً إلى الوجوه المتمرّدة والثائرة بكلّ جمالها وأنوثتها وقوّتها وحرّيتها.

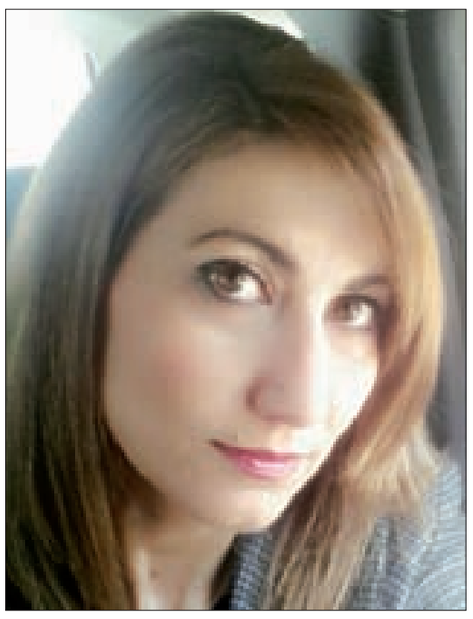

البعد الآخر

أعماق

نحن ذاتنا

نصف الحقيقة

صعود

خولة الطفيلي... تشكيليّة تودِع التاريخ العريق أمانة في لوحات وألوان

لمى نوّام

ولدت في بعلبك، تلك المدينة السّاحرة التي كانت أهم مركز للحضارة الرومانية وما قبلها من الحضارات. لعبت في الحقول والبساتين، وسارت في طبيعتها الخلّابة. ومن ذلك السّهل، أخذت المدى في الرؤية والبعد اللّوني الغني. لطفولتها ذكرياتٍ جميلة أهمّ ما فيها أنها تركت في وجدانها وذاكرتها مخزوناً لونيّاً، وعشقها الأبدي للطبيعة.

إنّها الفنانة التشكيلية الشابة خولة الطفيلي، التي اقترفت موهبة الرسم باكراً جدّاً، فهي لا تذكر نفسها إلّا مُعبّرةً بالرسوم عن الفرح والحزن. كانت تشعر أن الرسم ملاذها وقولها وفعلها، وكانت تتكلّم من خلال رسومها. وتذكر أنها في المرحلة الدراسية الابتدائية، رسمت عائلة وبيتاً وفتاةً سرّحت شعرها وتضع وردة بين ضفائرها. كان كل ما يقع عليه نظرها ترسمه. رسمت على طاولات المدرسة، التي تحوّلت ذات يوم إلى خريطة - على حدّ قول المدرّسة. ثمّ أكملت خولة دراستها المتوسطة والثانوية في بعلبك، وكان همّها الأوّل كيف تمضي بها السنون وكيف سيخرج من جوانيتها كل هذا المخزون.

تخرّجت خولة الطفيلي في معهد الفنون الجميلة - الجامعة اللبنانية، وحازت على إجازة في الفنون التشكيلية من الجامعة اللبنانية - كلية الفنون - الفرع الأول عام 2011، كما حصلت على ماستر في الفنون التشكيلية عام 2014، وهي بصدد تحضير الدكتوراه في المعهد العالي للدكتوراه في الجامعة اللبنانية - سن الفيل.

خولة الناشطة النشيطة في جمعية «حواس» الثقافية الفنّية، نظّمت مؤخّراً معرضاً تشكيلياً أطلقت عليه اسم «الحجر إن حكى»، وذلك في «غاليري زمان» - الحمرا - بيروت.

«البناء» التقت خولة الطفيلي على هامش المعرض، وكان حوار تحدّثت فيه عن معرضها فقالت: «لم أسمّ لوحات معرضي كلّها. إذ إنّها بمجملها ذات مفهوم واحد: الحجر إن حكى. عدد اللوحات 39 وبقياسات مختلفة، وتتراوح بين الإكريليك، والأحجار، والجلد، والزجاج، والمعجون الخاص الصلب».

وأضافت: «رسمت معابد وآلهة رومانية، يونانية، وفينيقية، وذهبت في صميم اللوحات إلى عمق التاريخ لأستحضر الماضي، ولأبحث عن الأصالة في الإبداع بطريقة حديثة. فروّضت عدّة مواد في تشكيلاتي الفنية، لاستخلاص نوع من التوافقية، ولإحداث نوع من الديناميكية، كي تتفاعل مع المشاهد ولا تبقى مجرّد مادّة خام».

وعن اختيارها موضوع الحجر رأت خولة أن ذلك كان لعدّة أسباب منها أنها وجدت في استحضار جماليات هذه الآثار وهذه المعابد والهندسة المعمارية المتميّزة، حاجة ماسّة في زمن الفوضى بكل المعايير الجمالية والفنية والاجتماعية، زمن الفوضى، فوضى بإسقاط علم الإستيتيك.

وقالت: «باعتقادي، نحن بحاجة إلى عصر نهضة جديد. ولا أريد أن أُفهَم بأنّني أريد العودة إلى الكلاسيكيّات - مع حبّي لها - إنما المزاوجة بينها وبين الحداثة، مع إبراز ما لدينا من جماليات ومواضيع غنيّة. موضوعي طرح ورسم من قبل المستشرقين، فأردت ألّا أكرّر ما فعلوه، إنما أردت لموضوعي أن يكون برؤية حديثة، واستغرق العمل بهذا المعرض حوالى سنة لأنني أردت العودة إلى الجمال، إلى المُثل التي أراها تشوّهت منذ الدادائيّة حتّى الآن، حتّى اندثرت ووصلت إلى حائط مسدود».

وأكّدت خولة أنّها لا تحبّ الانتماء إلى مدرسة فنية بالمطلق. وليست هي من يحدّد أسلوبها، حتّى لا يأتي بشكل مصطنع، وأنّ على الفنان أن يكون همّه وهاجسه في لوحة ممتعة بصرياً وتأليفياً ولونياً، مراعياً شروط اللوحة من ناحية الحبكة الفنية، إذ قالت: «بوعيٍ منّي، أو ربما من دون وعي، قد أتأثّر بمنهج وأسلوب فنّيين معيّنين. وهذا ليس عيباً أبداً، لأن كلّ الفنون سلسلة مترابطة، ولا يمكننا رسم خطّ فاصل بين طور وآخر، في أيّ مجال من مجالات النشاط البشري. كل مدرسة فنية تحمل خلاصة ما قبلها، واستعداداً لتقبّل ما يأتي. والفنّ عملية تأثّر وتأثير، ولا أخفي أنني من عشّاق الفنّان الهولندي فان غوغ والمدرسة ما بعد الانطباعية (post impressionnisme).

وبالنسبة إلى أسلوبي اليوم، أرى أنّني أزاوج بين الواقعية ونصف التجريد (Semi abroit)، مع وجود روحيّة المدرسة الانطباعية. لكنني أحبّ أن يكون أسلوبي نابعاً من بيئتي، أي ثقافتي الخاصة، فأنا أزور كل الينابيع لكنني أشرب من بئري الخاصة، بغضّ النظر عن المعايير النقدية الجمالية. لا أحبّ أن أتقيّد بأسلوب معيّن، الفنان حرّ، أنا اليوم أرسم وألوّن بهذا الأسلوب، ولا أعلم غداً أين أصبح. لا أعلم أيّ توليفة جديدة تنضج لديّ، والتي تكون قادرة على التعبير عنّي وعن هواجسي».

وعن الفنّ التشكيليّ في لبنان، مقارنةً مع العالمي قالت خولة: «أرى أن هناك فنّاً في لبنان، لكننا مقصّرون أشواطاً بالنسبة إلى الفنّ العالمي، ويلزمنا عمل كثير وإبداع أكثر كي نلحق بالركب العالمي، وليكون لنا مكان في المنظومة التشكيلية الفنية. أنا لا أنكر أن هناك فنانين وفنانات لبنانيين أصبحوا بمصاف الفنانين العالميين. إنما، وفي هذه المناسبة، أرى أنّنا بحاجة إلى حركة نقدية جدّية تغربل الفنّ. وأطالب بإنشاء متحف يضمّ الأعمال الفنية القديمة، وأعمال الروّاد وأعمال الفنانين الحديثين في لبنان. ولا بدّ من الاعتراف بأننا مقصّرين، لا بل - وإن صحّ التعبير - ما زلنا مستهلكين كل ما يردنا من الغرب. مع الأمل طبعاً بوجود فنانين كبار على الساحة اللبنانية ولا بدّ أن يحدثوا التغيير».

وختمت الطفيلي حديثها قائلة: «اللوحة الأبرز في معرضي تضمّ رموز الجمال والقوة والحب: فينوس، جوبيتر، باخوس. وهنا خلاصة ما أردت إحياءه من جديد. المرأة والرجل موجودان على السواء في لوحتي، ولا يهمّ من يطغى على الآخر، الإنسان إنسان سواء كان رجلاً أم امرأة».

أعمال خولة الطفيلي المعروضة في «غاليري زمان» تأكيد جديد على أن موهبة الفنان الفطرية والتقنية والفكرية، هي ما يحدّد إن كان العمل الفنّي المطروح حداثياً أم مُستعاداً. معرض خولة الطفيلي «الحجر إن حكى» الذي افتُتح في الرابع حزيران الجاري والمستمر حتى نهاية الشهر يستحق المشاهدة، إذ إن الفنانة الشابة، تودِع التاريخ العريق أمانةً في لوحات وألوان.

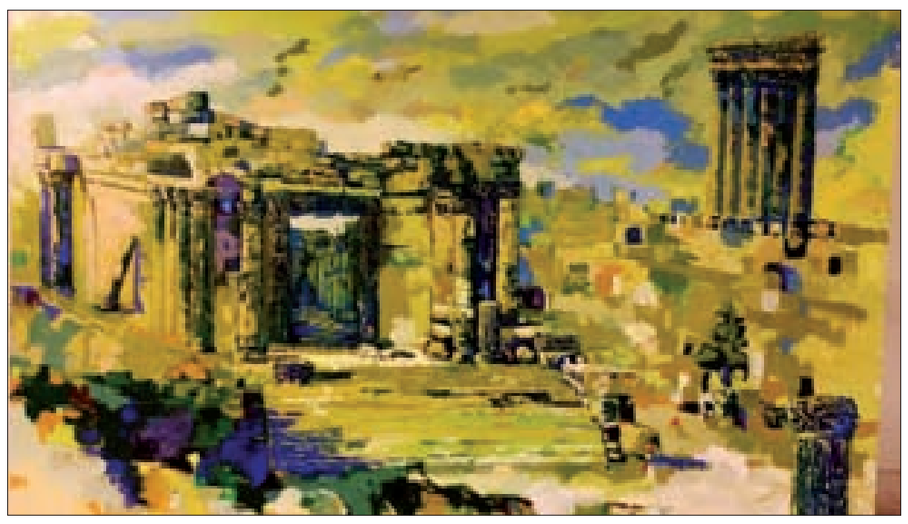

المرصد

كيف سيكون عزف نادين نجيم في «تشيللو»؟

هنادي عيسى

استطاعت نادين نسيب نجيم السنة الماضية من خلال مسلسل «لو» أن تحقّق نجومية كبيرة إلى جانب يوسف الخال وعابد فهد. وها هي تطلّ هذه السنة في رمضان بعد أيام، عبر مسلسل «تشيللو»، ويشاركها البطولة النجم السوري تيم حسن ويوسف الخال أيضاً.

ما يميّز هذا العمل أنه سيعرض على ستّ محطات فضائية من أبرزها: «سما» السورية، «mbc»، و«art»، و«المستقبل». وهو من سيناريو وحوار نجيب نصير (مؤلف زمن العار) وإخراج سامر البرقاوي، أما الانتاج فلشركة «صبّاح للإعلام» و«إيغل فيلم».

وكما أضحى معلوماً أنّ قصة هذا المسلسل مستوحاة من الفيلم الأميركي «indecent proposal» أو «العرض القذر» لديمي مور وروبرت ردفورت، وفيه البطلة تتعرّض وزوجها لنكسة مادية، فيقوم رجل أعمال ملياردير - «ردفورت» - بعرض مبلغ مليون دولار على الزوجين مقابل أن تمضي الزوجة معه ليلة حمراء. وهنا السؤال: هل سيتناول المسلسل محاور الفيلم، أم أنّ التوليفة الدرامية مختلفة وتناسب المجتمع الشرقي؟

المنتج صادق أنور صبّاح الذي أعاد الروح إلى الدراما اللبنانية ووضعها مجدّداً على خطّ المنافسة مع الدراما المصرية والسورية، قال عن تجربتَي «لو» و«تشيللو» إنه كان حريصاً من خلالهما على عودة الأعمال الدرامية اللبنانية إلى خريطة الأعمال التي يُحسب لها ألف حساب في رمضان، على أن تحظى المسلسلات بنسبة مشاهدة عالية. وعندما تقرّر «mbc» للسنة الثانية على التوالي عرض عمل صُوّر كاملاً في لبنان مع فريق عمل لبنانيّ - سوريّ، فهذا يدلّ على أننا نسير على الخطّ الصحيح، خصوصاً أنّ «mbc» تُعدّ من المحطات العربية الأولى في العالم العربي.

ومن علامات تميّز مسلسل «تشيللو»، ذاك الكليب الذي سبق عرض العمل، وغنّى شارته الفنان مروان خوري، إذ كتب الكلمات ولحّنها بنفسه، معبّراً عن روح القصة التي تجمع رجلين وامرأة والخيانة ثالثهما.

نادين نسيب نجيم ستكون عازفة «تشيللو»، ويوسف الخال عازف بيانو، وتتحطّم آمالهما بعد احتراق مشروع العمر، فيظهر تيم حسن. فهل سيكون المنقذ أم المدمّر؟

«الخيميائي»... فيلماً سينمائياً

يلعب الممثل إدريس إلبا دور البطولة في فيلم «الخيميائي» للروائي البرازيلي باولو كويلو، والفيلم من إخراج لورنس فيشبورن، ومن المحتمل أن يبدأ تصوير الفيلم عام 2016 المقبل.

يلعب إلبا دور الراعي الإسباني سانتياغو الذي يعيش في الأندلس. ويرى هذا الراعي في منامه حلماً يحفزه للقيام برحلة إلى الأهرام المصرية للبحث عن كنز.

وكان العمل على تصوير هذه الرواية في فيلم سينمائيّ قد انطلق منذ عام 2008، إذ اشترت شركة «فيشبورن A–Mark Entertainment» حقوق تصوير الفيلم من استوديو «Warner Bros» الذي كان بدوره قد اشتراها من الكاتب عام 1994. وتقدّر كلفة إنتاج الفيلم بمئة مليون دولار، لكن لأسباب مختلفة لم تبدأ عملية الإنتاج حتى الآن. علماً أن الكلفة الأولية المقدرة في البداية كانت 60 مليون دولار.

صدرت رواية «الخيميائي» عام 1988 ولقيت رواجاً واسعاً في العالم، إذ بلغ عدد نسخها المباعة 65 مليون نسخة، وتُرجمت إلى عدة لغات، بينها اللغة العربية.